

العالم يريد أن.. يشك

بقلم: عائشة عبدالعال القزق - الأردن

ألا فلتسحق هذه النجمة السداسية،
سندوسها بأقدامنا. أيها اللعين كف عن
إجرامك. لا بد أن ننتقم منكم يوماً..
(ويرفع بصره إلى السماء)

- يارب المظلومين.. يارب الضعفاء..
انتقم لنا.. التهيبي باسماء ناراً.. تفجّري
يابحار غضباً.. يارب.. يارب..
- اسكت أيها العجوز الخرف!
(وتنتفخ أوداج الجندي، وهو يقبل
النجمة السداسية، ثم يضع قبعته على
رأسه، ويكتف ذراعيه).

- هيه ياعجوز السوء! ألم تنتصر
عليكم؟ ألم ندمر مساكنكم، ونقل
أطفالكم، ونغتصب نساءكم؟.. ها.. ها..
ها.. أين أبطالكم؟ فليأتوا جميعاً إليّ
فأدوسهم بقدمي..

- اخرس أيها المجرم.. أبطالنا...
أبناؤنا... فلذات أكبادنا، قتلتموهم...
شرّدتموهم.. إنكم تذيقونهم ألوان
العذاب في سجونكم.. قاتلكم الله..
قاتلكم الله.. قاتلكم الله.. (ويتردّد
دعاء العجوز الساخط في أرجاء
القاعة...)

- عاد الجندي الضخم إلى هزئه
وسخريته:

- حسناً، فليقاتلنا الله.. لأنكم لا
تقاتلوننا.. ها.. ها.. ها..

تلقت إحدى الحاضرات إلى جارتها
وتقول متبرّمة:

- هيه.. ألهذا دُعينا؟!.. لقد مللنا هذه
المشاهد..

يمسك الجندي الصهيوني بالعمود
الحديدي المتوهج، ويرفعه مهددا الفتاة

أطفئت الأنوار.. وارتفع الستار.. في
مسرح مدرسي متواضع واشرايت
الأعناق، وتوجهت الأنظار متلهفة
نحو(خالد)، وهو يؤدّي دوره بحماسة
وانفعال..

واحسّ الأستاذ(ناجي) أنه يكاد
ينهض من مقعده، ليعانق تلميذه
النجيب، وهو يتكلم على خشبة المسرح،
مخاطباً الضمائر والقلوب، وليس
العيون والأذان فقط..

كان الإعلان عن المسرحية «الدّمار» قد
تم قبل أسبوع ووجهت الدعوة إلى
الآباء والأمهات، بمناسبة انتهاء الفصل
الدراسي الأول...

وتوافد سكان الحي، واكتظت مقاعد
المشاهدين. ولم لا؟ وللاستاذ(ناجي)
خبرة طويلة في مجال التمثيل
والإخراج المسرحي... وقد كوّن فرقة
مسرحية مدرسية، نالت الجائزة الأولى
في مسابقة المسرح.. والتلميذ(خالد)، لم
يكن ممثلاً عادياً، بل كان فناناً موهوباً،
ذا قلب رقيق، يحسّ بالأم المعذّبين
حوله، فيترجم زفراتهم صراخاً، يعلو
فوق خشبة المسرح، فيقرع القلوب قبل
الأذان.. وينبههم من سباتها...

وها هو ذا اليوم ولما يمض على
الحرب بضعة أشهر، يترجم صراخ
الدماء، وبكاء الأطفال، وأنين المصابين...
عجوزٌ مُصاب تنزف ذراعه دماً، يتكئ
على عصاه ويغالب الوقوع على
الأرض، يتحدّى الجندي الجلف الذي
رفع عموداً حديدياً متوهجاً، ليضرب به
فتاة صغيرة.. ويصرخ العجوز:

ينزل بي غضب الله.

(يتحرك سعد لمغادرة الكهف
فيحاول علاء اعتراض طريقه،
ولكن رفيقيه يطلبان منه أن
يخلي له الطريق)

عادل وأحمد: دعه يمض يا علاء.
(يسود الصمت للحظات ثم
ينطق عادل أخيراً.. دعونا ننم
قليلاً، لعل الفرج يأتي في
الصباح.)

(منظر الوادي مرة أخرى، وقد
تسلل إليه الضياء. ووقف الثلاثة
خارج الكهف)

علاء: الحمد لله الذي أنجانا.
عادل: نشكر له ونحمده على
فضله، ولكن دعونا نتعاهد
بأصدقاء على التوبة، وأن نكون
عونا لبعضنا، فإن عاد أحدنا للإثم
نكون له خير الناصحين.

(يتعاهد الثلاثة)
أحمد: هيا! أسرعوا. فرغم أننا في
أمان أكثر خلال النهار إلا أن
الأفاعي مازالت في الوادي.

يهتف علاء بجزع: انظروا.
(يسرع الجميع ويتحلقون حول
الرجل المتكوم على الأرض،
ينظرون إليه ثم يتحسّس أحمد
نبضه)

أحمد: لقد فارق الحياة
(تسود لحظات من الحزن
والصمت. يتحدث عادل بعدها)
عادل: هيا أسرعوا ياأصدقاء! ولا
تنسوا العهد.

(يمضون في طريقهم، ويسدل
الستار.)

□□□



أفلاحة واحدة

نومهم.. وينغص سمرهم، ولكنك
أسمعتهم على الرغم منهم..
- كيف؟! لقد غادروا القاعة منذ أوائل
المسرحية..

- لقد نجحت يا (خالد) بإيقاظ
ضمايرهم.. ففرّوا هرباً من العذاب
الذي يؤرقها. اسمع يا (خالد) ألا تعلم
من الذي يغادر مسرح الجريمة عند
وقوعها؟ أول الغائبين هو مرتكب
الجريمة..

- الجريمة؟!

- أجل.. جريمة الصمت واللامبالاة..
كانت ضمايرهم نائمة على الرغم من
ويلات الحروب، وأزيز الطائرات ودوي
الانفجارات.. ولكنك الآن، أيقظت هذه
الضمائر بصدقك وحماسك.. إنهم
يفرون الآن من تبكيت الضمير..

- ولكن، أليس لهذا الهروب من
نهاية؟! ثم تنهد (خالد) متحسراً وقال:
- والآن.. ما العمل؟.. لقد فشلت
المسرحية!

- لا.. لم تفشل.. إذا رفضوا الحديث
عنها بألسنتهم، فسبقى حديث النفس
وتأنيبها.. وهذا هو النجاح.. لقد
اخترقت المسرحية الحواس إلى أعماق
النفوس، وهذا هو مانريد..

قال (خالد) وهو يغالب الأسى الذي
ظهر واضحاً في عباراته:

- ولكننا لن ننجح في دعوتهم
لحضور مسرحية من هذا النوع في
حقل التخريج..

قال الأستاذ (ناجي) ساخراً:

- إذا جعلهم يضحكون

□□□

اليوم يجري الاستعداد على قدم
وساق، والكل مشغول بالتهيئة للحفل
المهم أنه حفل التخريج.. خرج الأستاذ

الأخبار في التلفزيون، والإذاعة؟ لقد
سئمت أذاننا وعيوننا هذه القصة..
ألانستحقّ بعد يوم دراسي متعب أن
نشاهد (فصلاً) ضاحكاً مرحاً.. يُعش
القلب بعد جفافه.. يُطرب الأذان،
ويُضحك العين؟! ابتلع الأستاذ (ناجي)
غصة في حلقه، وقال وهو ينظر إلى
وجه الأستاذ (مروان) وإلى عيونه
المنفخة من كثرة النوم..
- الحقّ معك يا أستاذ..

اقترب صوت الانفجارات.. ولعلع
الرصاص، وقفز إلى المسرح أبطال
أشاوس، داسوا الضابط (الصهيوني)
بأقدامهم، وزرعوا علم الوطن..
وصدحت موسيقى النصر.. وأسدل
الستار. علا تصفيق المتفرجين، في
الصفوف الأولى فقط.. ونظر (خالد)
إلى المقاعد الخالية مشدوهاً.. ماذا
حدث؟!

واقترب الأستاذ (ناجي) من تلميذه،
وابتسامة النصر تعلو محياه.. ومد
يده مصافحاً:

أهنتك.. أهنتك يا (خالد).. لقد
انتصرت..

أجاب (خالد) ذاهلاً، وكأنه في عالم
آخر:

- انتصرت!! ماذا حدث؟ هل أخطأنا؟
- لا.. لا.. لم نخطئ، ولكن العالم يريد

أن.. يضحك، يا ولدي! الجمهور يريد
أن يضحك.. الناس جميعاً يريدون أن
يضحكوا..

- يضحكون؟! والمآسي تتفجر
كالأنهار.. الدماء لم تجف بعد.. جثث
الأطفال لم تدفن.. والسجون مقابر
جماعية..

- ولكنهم ياولدي! لا يريدون أن
يعلموا بهذا أو يسمعوا به.. إنه يكدر

الصغيرة. تنظر الفتاة إليه بذعر شديد،
وتهرع إلى جدها العجوز لتحتمي به..
ولكن الجندي الفظ يجذبها من كتفها
ممزقاً ثوبها، ويهرها صارخاً:

- هيا.. هيا أيتها اللعينة! ألا تنطقين؟
قولي أين ذهب أخوك؟ أي طريق سلك
مع من خرج؟.. انطقي.. انطقي يا
خرساء!

التفت رجل إلى زوجته، وقال:

- متى تنتهي المسرحية؟

أجابت الزوجة دامعة العين:

- لا أدري.. ربما تستغرق ربع ساعة
أخرى..

- آه.. إنني أشعر بضيق في
التنفس.. (يتمتم الزوج..)

دوى في المسرح صوت انفجار..
وتبعه صوت رشاشات تطلق
رصاصها في كل مكان.. وأمسك
الجندي الصهيوني بسكين يحاول أن
يطعن (الأم) التي اندفعت إليه صارخة:
- ابنتي.. طفلي.. دعها أيها المجرم
اللعين.. لقد قتلتم ابني وسجنتم
زوجي.. ودمرتم بيتي.. أخرجوا من
هنا يا ظلمة! يا قتلة!

قالت سيدة من المتفرجين.. وهي
تنهض مغادرة مكانها:

- لا أستطيع.. لا أحتمل رؤية هذه
المشاهد..

وسارت بضع خطوات لتخرج من
المسرح.. وكان لوقع أقدامها رنين،
وهي تخطر بحذائها في الممر الطويل،
بين مقاعد المتفرجين.. والتفت
الأستاذ (ناجي) متعجباً، وقد نبّهه قرع
الحذاء.. وأمسك الأستاذ (مروان) بذراع
الأستاذ (ناجي) وانحنى على أذنه
هامساً:

- ماهذا يا أستاذ.. ألا تكفينا نشرات